

الجمهورية العربية السورية

وزارة الأوقاف

مديرية التعليم الشرعي

مصطلح الحديث

الثاني الثانوي الشرعي

تأليف

د. مصطفى الخن أ. علي الشرجي

د. محمد سعيد رمضان البوطي

أعيد طبعه للعام الدراسي

١٤٣١ - ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ - ٢٠١١ م

لجنة المراجعة
د. عبد الكريم السقا
أ. نظمي العاني

مجمع الحقوق والحفاظ على المواطنة
لجنة المراجعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المقدمة﴾
٣

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه، ويدفع نقمه ويكافئ مزيده والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الذي اختاره الله رحمة للعالمين، واصطفاه بشيراً ونذيراً للناس أجمعين، ورضي الله عن الصحابة والتابعين والعلماء العاملين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي سيدنا محمد رسول الله. وإنَّ هديه الكريم هو سنته المطهرة، وأحاديثه الشريفة التي تلقاها منه أصحابه الكرام، فأسكنوها قلوبهم، وترجموها بأعمالهم، وأدوها بصدق وأمانة وتلقاها منهم من جاء بعدهم من علماء خير القرون، فأودعوها صدورهم وسطورهم، وضموا عليها جوائح كتبهم ومصنفاتهم، وتفننوا في ابتكار القواعد والضوابط لصيانتها والذود عنها حتى غدت في حرز أمين يتناقلها الأجيال عن الأجيال بكل ثقة واطمئنان.

وهانحن نضع بين يدي إخواننا الطلاب جملة من قواعد مصطلح الحديث ذلك العلم الجليل الذي خص الله به المسلمين وهداهم إليه لحفظ هذا الدين مكتفين بما نص عليه منهاج وزارة الأوقاف.

والله نسأل أن يتقبل منا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وهو حسبنا ونعم

المؤلفون

الوكيل.

مقدمات تتضمن :

معنى الحديث، والفرق بينه وبين السنة، والخبر والأثر، والحديث القدسي

١ - معنى الحديث: الحديث في اللغة: ضدّ القديم.

وفي اصطلاح المحدثين: هو كل ما أضيف إلى النبي ﷺ غير القرآن من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، خُلُقِيَّة، أو خُلُقِيَّة.

وقد أطلق جمهور المحدثين الحديث على أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم أيضاً، فهو على هذا لا يختصُّ بالمرفوع، بل يشمل الموقوف والمقطوع.

مثال القول: ما رواه البخاري^(١) ومسلم^(٢): أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر». روياه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ومثال الفعل: ما رواه البخاري^(٣) عن عائشة رضي الله عنها لما سئلت: ما كان يصنع رسول الله ﷺ؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله - أي: مساعدتهم - فإذا حضرت الصلاة قام إليها».

ومثال التقرير: هو أن يرى رسول الله أحداً من أصحابه يفعل فعلاً أو يقول قولاً - فيسكت عليه ويستحسنه - مثاله: ما رواه البخاري^(٤) ومسلم^(٥) عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «سلوه

(١) في الأدب؛ باب ما ينهى عن السباب واللعن.

(٢) في الإيمان؛ باب قول النبي ﷺ «سباب المسلم فسوق» .

(٣) كتاب الأذان؛ باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج.

(٤) في التوحيد؛ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.

(٥) في صلاة المسافرين وقصرها؛ باب فضل قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله: أخبروه أن الله تعالى يحبه».

مثال الصفة الخلقية: ما رواه الترمذي^(١) وبنحوه البخاري^(٢) ومسلم^(٣) عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ رُبعة: ليس بالطويل، ولا بالقصير، حسن الجسم، أسمر اللون، وكان شعره ليس بجعد، ولا سبط، إذا مشى يتكفأ». ومعنى يتكفأ: يمشي مستوياً مع تمايل إلى قدام كما تتكفأ السفينة في جريها.

ومثال الصفة الخلقية: ما رواه الترمذي^(٤) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح».

مثال قول الصحابي: ما رواه مالك^(٥) عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال: «أيما رجل تزوج امرأة، وبها جنون أو جذام أو برص فمسّها فلها صداقها كاملاً وذلك لزوجها غرم على وليها».

مثال قول التابعي: ما رواه البخاري^(٦) في كتاب الإكراه قال: قال الحسن: «التقية إلى يوم القيامة». أي: جائزة للمؤمن إلى يوم القيامة إلا أنه كان لا يجعل في القتل تقية. وعند ابن حميد: إلا في قتل النفس التي حرم الله يعني لا يعذر من أكره على قتل غيره، لكونه يؤثر نفسه على نفس غيره. ومعنى التقية: الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير.

(١) في اللباس؛ باب ما جاء في الجمّة واتخاذ الشعر.

(٢) في المناقب؛ باب صفة النبي ﷺ.

(٣) في الفضائل؛ باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنته.

(٤) في البر والصلة؛ باب ما جاء في خلق النبي ﷺ.

(٥) في الأدب؛ باب ما ينهى عن السباب واللعن.

(٦) في الأدب؛ باب ما ينهى عن السباب واللعن.

٢- **معنى السنة:** السنة في اللغة: الطريقة المعتادة للفرد، أو للجماعة حسنة كانت أو سيئة.

روى مسلم^(١) أن النبي ﷺ قال: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

وأما السنة في الاصطلاح فللعلماء فيها أقوال:

قول المحدثين: السنة عند المحدثين مرادفة للحديث، فهي ما أضيف إلى النبي غير القرآن من قول أو فعل أو صفة أو تقرير، وما أضيف للصحابة والتابعين من أقوال أو أفعال.

قول علماء الأصول: والسنة عند علماء الأصول ما أثر عن رسول الله ﷺ غير القرآن من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً على حكم شرعي، ولا يذكرون الصفة النبوية، لأنهم إنما يبحثون في السنة باعتبارها مصدراً للتشريع، والتشريع إنما يثبت بالقول، أو الفعل، أو التقرير.

فالسنة عندهم إذاً تختلف عن الحديث من حيث اعتبار الصفة فقط.

ففي الحديث يُدْخِلُونَ الصِّفَةَ، وفي السنة يُخْرِجُونَهَا.

قول الفقهاء: والسنة عند الفقهاء لها معنى آخر، وهو ما طالبنا الشرع بفعله طلباً غير جازم بحيث يترتب الثواب على فعله، ولا يترتب العقاب على تركه، وذلك مثل صلاة الضحى، وقيام الليل، وصيام ستة أيام من شوال، فهي على هذا تقابل الفرض والواجب.

والسنة على هذا عندهم هي غير الحديث، إذ الحديث هو المروي عن الرسول ﷺ كما سبق، والسنة: هي الحكم الذي دل عليه خطاب الشرع من قرآن أو حديث، وكان الطلب به غير جازم.

(١) في الزكاة؛ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر أو كلمة طيبة.

إطلاق آخر للسنة: وقد تطلق السنة على السيرة النبوية والشريعة الإسلامية، وما عليه الخلفاء الراشدون، وهي على هذا تقابل البدعة.

ومما يدل على ذلك ما رواه أبو داود^(١) والترمذي^(٢) وقال حسن صحيح عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

٣- الخبر والأثر: المشهور الذي عليه اصطلاح المحدثين أن الحديث، والخبر، والأثر؛ ألفاظ مترادفة ذات مدلول واحد.

غير أن بعض العلماء خالف في ذلك: فخصّ الحديث بما كان مرفوعاً إلى النبي ﷺ، والخبر ما كان موقوفاً على الصحابة من أقوالهم أو أفعالهم.

وبعض العلماء يجعل الخبر ما كان مرفوعاً إلى النبي ﷺ، والأثر ما كان مروياً عن الصحابة، لكن الأصح - كما قلنا - أنها ألفاظ مترادفة.

٤- الحديث القدسي: ومن جملة الأحاديث النبوية الحديث القدسي، وهو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ، وأسنده رسول الله ﷺ إلى ربه تبارك وتعالى، وذلك كأن يقول ﷺ: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى، أو قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى.

٥- مناسبة تسميته حديثاً قدسياً: ومناسبة تسميته حديثاً قدسياً إنما هي التكريم لهذه الأحاديث بشكل خاص، لأنها مضافة إلى الله تعالى، كما أنها واردة في تقديس الذات الإلهية، وصفاتها العلية.

(١) في السنة؛ باب في لزوم السنّة.

(٢) في العلم؛ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع.

٦- من أمثلة الحديث القدسي:

ما رواه مسلم^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

وما رواه مالك^(٢) وأحمد، والحاكم، وابن حبان^(٣)، والبيهقي^(٤) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتبازلين فيّ، والمتزاوئين فيّ».

٧- حقيقة الحديث القدسي:

الحديث القدسي: هو ما كان لفظه من عند رسول الله ﷺ، ومعناه من عند الله تعالى بالإلهام أو بالمنام.

٨- والفرق بينه وبين الحديث:

والفرق بين الحديث القدسي، والحديث النبوي، هو إذاً من حيث إضافته إلى الله تعالى. فالحديث القدسي يقول فيه رسول الله: قال الله تعالى، والحديث النبوي لا يقول فيه ذلك، ومن ناحية أخرى فإن موضوع الأحاديث القدسية إنما يكون غالباً فيما يختص بذات الله وصفاته، بينما الأحاديث النبوية تكون أعم من ذلك، فهي تتناول الأحكام، والأخبار وغير ذلك.

٩- الفرق بين الحديث القدسي والقرآن:

وهناك فروق بين الحديث القدسي والقرآن نذكر منها ما يلي:

(١) في الزهد والرفائق؛ باب من أشرك في عمله غير الله.

(٢) في الشعر؛ باب ما جاء في المتحابين في الله.

(٣) في البر؛ باب الصحبة والمجالسة.

(٤) في مقاربة وموادة أهل الدين؛ باب المصافحة.

- أ- القرآن متعبد بقراءة لفظه، والحديث القدسي ليس متعبدًا بلفظه.
- ب- القرآن لا يقرؤه جنب ولا حائض، ولا يمسه إلا طاهر، بينما الحديث القدسي لا يجب فيه ذلك.
- ج - القرآن منقول بالتواتر ومكتوب في المصحف، والحديث القدسي ليس كذلك بل منه ما هو ضعيف، أو شديد الضعف.
- د- تجب قراءة القرآن في الصلاة، ولا تصح الصلاة بقراءة الحديث القدسي فيها.
- هـ- القرآن معجز، والحديث القدسي ليس فيه إعجاز.



لحة عن تاريخ الحديث وتدوينه

١ - حفظ الحديث وتدوينه:

لقد مرّ الحديث النبوي الشريف في طريقه إلينا بعدة مراحل، نستطيع أن نصنفها في أربع مراحل:

- **المرحلة الأولى:** وهي مرحلة الحفظ في الصدور، وهذه المرحلة تمتد من عصر النبي صلى الله عليه وسلم حتى نهاية القرن الأول الهجري.

لقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم دعوة النبي كما يتلقى الظمآن الماء الزلال، فما كان يتلو عليهم شيئاً من القرآن أو السنة إلا وينطبع ذلك في أذهانهم، وتعيه قلوبهم، وما كان يفعل أمامهم شيئاً إلا ويرتسم في أفئدتهم، ويتحوّل إلى عمل في سلوكهم.

ولقد ساعدتهم على هذا الحفظ والاستيعاب لأقوال الرسول وأفعاله عدّة عوامل:

الأول: قوة ذكاء قرائحهم، وصفاء أذهانهم، فلقد كانوا مضرب المثل في الذكاء، وقوة الحفظ، ويشهد لذلك حفظهم لأشعارهم، وأخبارهم، وحكمهم وأمثالهم، وأحسابهم وأنسابهم، وذلك أن العرب كانوا أمة أمية لا يقرؤون ولا يكتبون، فلم يكن لهم بدّ من الاعتماد على أذهانهم وعقولهم.

الثاني: قوة إيمانهم، وصدق محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقد شعروا أن هذا الدين هو سبب خلاصهم من أوضاع الجاهلية، وهو الوسيلة لعزتهم في الدنيا، وسعادتهم في الآخرة، فمنحوه من أنفسهم وعقولهم، وعزائمهم ما يستحق، لذلك تلقوا حديث رسول الله ﷺ بغاية الاهتمام وأحسّوا أن قصب السبق إلى الأجر والثواب لا يناله إلا أولئك الذين تحملوا العلم، وعلموه. روى أبو داود وابن ماجه^(١) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نصر الله امرءاً سمع مقالتي، فبلغها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه».

(١) أبو داود في العلم؛ باب فضل نشر العلم. وابن ماجه في المقدمة؛ باب من بلغ علماً.

الثالث: صدق حديث رسول الله ﷺ، وروعة بيانه، وصلته بتنظيم الحياة جعلهم يحرسون كل الحرص على حفظه وتبليغه، فكانوا يتلقون الكلمة من رسول الله ﷺ، فتخالط قلوبهم، وتجري في عروقهم، ثم يترجمونها إلى عمل وتنفيذ، وهذا من غير شك يضمن لهم حفظ الحديث، ويحول دون نسيانه.

الرابع: طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه، وإلقائه كانت تساعدهم على استيعاب ما يقول، والتأكد مما يسمعون. فقد كان لا يسرع في الكلام، ولا يسرد سرداً، بل يتأنى في إلقائه ليتمكن من ذهن السامع، ويعيده ثلاثاً ليحفظ عنه.

روى البخاري^(١) ومسلم^(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه».

وروى الترمذي^(٣) عنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسر دكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل، يحفظه من جلس إليه». وروى الترمذي^(٤) عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه».

٢- سبب عدم كتابة الحديث في زمن الصحابة:

يتبين مما سبق أن الصحابة لم يكونوا في الغالب يكتبون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لعدة أسباب:

أ- قلة من كان يحسن الكتابة فيهم.

(١) في المناقب؛ باب صفة النبي ﷺ.

(٢) في فضائل الصحابة؛ باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في المناقب؛ باب في كلام النبي ﷺ.

(٤) في المناقب؛ باب في كلام النبي ﷺ.

ب- عدم توفر وسائل الكتابة عند من يستطيع الكتابة، فقد كانوا يكتبون على العُصْب واللِّخَاف، والعظام، وجلود الماشية. والعُصْب جميع عَسِيب، وهو: جريد النخل. واللِّخَاف جمع لَخْفَة: وهو الحجر الرقيق.

ح- انشغالهم بكتابة القرآن، وانصرفهم إليه دون ما عداه.

د- نهى الرسول الله ﷺ عن كتابة الحديث مخافة أن يختلط بالقرآن.

روى مسلم^(١) أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه». ولا يعني هذا أن أحداً من الصحابة لم يكن يكتب الحديث. فلقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لبعض أصحابه المتقين أن يكتبوا حين أمن اختلاط القرآن بغيره.

فلقد روى أبو داود^(٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:

«كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة، وذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً بيده إلى فيه، فقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق».

وذكر البخاري^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما كان أحد من أصحاب النبي أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب».

أضف إلى ذلك أن النبي كان يأمر بكتابة رسائله إلى الملوك والأمراء وكتابة وثائقه ومعاهداته، وهي كلها من جملة حديثه.

(١) في الزهد والرفائق؛ باب التثبيت في الحديث وحكم كتابة العلم.

(٢) في العلم؛ باب في كتاب العلم.

(٣) في العلم؛ باب في كتاب العلم.

ولقد ظلّ الصحابة يعتمدون في ضبط الحديث وحفظه، وتحفيظه على صدورهم وأذهانهم إلى ما بعد وفاة الرسول، كيلا يشغلهم ذلك عن القرآن الكريم.

أخرج الخطيب وابن عبد البر، عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشاروا عليه أن يكتبها، فوفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله تعالى، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً، ووافقه الصحابة على ذلك. وهذا يدل على أن كراهة كتابة السنن في الصدر الأول إنما كانت لثلاث أسباب: يشغل الناس عن القرآن بسواه.

- المرحلة الثانية: مرحلة التدوين للسنة وكتابتها خوفاً عليها من الضياع وخشية من الاختلاط بغيرها، والوضع فيها. وقد بدأت هذه المرحلة من مطلع المائة الثانية للهجرة.

فقد رأى [الخليفة الخامس] عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن يحمل أهل العلم على تدوين السنة. ذكر البخاري في «صحيحه» و«الدارمي»^(١) في «سننه»: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن حزم - وكان في المدينة - «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء. ولا يقبل إلا حديث النبي ﷺ، وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً».

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عالم الحجاز والشام وإلى غيرهما من علماء الآفاق، فكتب أبو بكر بن حزم والزهري وغيرهما ما في آفاقهم من الحديث غير أن الوفاة عاجلته قبل أن يصل إليه عمل هؤلاء العلماء.

(١) في العلم؛ باب من رخص في كتابة العلم مسنداً، وتعليقاً.

لكنه لم يلبث التدوين أن انتشر على طول هذا القرن فجمعت الأحاديث في الجوامع والمصنفات: «كجامع مَعْمَر بن شَدَّاد»، و«جامع سفيان الثوري»، و«جامع سفيان بن عيينة»، و«مصنف عبد الرزاق»، و«مصنف أبي بكر بن أبي شيبة»، و«مصنف حماد بن سلمة»، ووضع الإمام مالك «كتاب الموطأ» الذي قال فيه الإمام الشافعي: «إنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى». وهذا قبل أن يظهر «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم».

غير أن سمة هذه المجامع والمصنفات أنها لم تكن تقتصر على الحديث المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كنت تضم إلى جانب ذلك الحديث الموقوف والمقطوع من أقوال الصحابة والتابعين، وفتاواهم.

- المرحلة الثالثة: مرحلة تخليص الحديث مما كان عالقاً به من تلك الأقوال والفتاوى والآثار، ويرجع هذا العمل إلى غضون المئة الثالثة للهجرة حين رأى العلماء أن يفرّدوا السنة النبوية بالتأليف مبالغة في حفظها والرعاية لها، وتنظيمها واحترامها.

ولقد تزعم هذه المرحلة الإمام أحمد بن حنبل^(١) رحمه الله تعالى فشق الطريق لمن بعده، فصنف «مسنده»، ثم تبعه أصحاب الكتب الستة: البخاري^(٢)، ومسلم^(٣)، وأبو داود^(٤)، والترمذي^(٥)، والنسائي^(٦)، وابن ماجة^(٧). ولم يكد القرن الرابع أن ينصرم حتى كان الحديث النبوي قد أحصيت متونه، وأسانيده، ولم يبق غير التهذيب، والترتيب.

(١) - الإمام المجلد حامل لواء السنة المولود سنة (١٦٤هـ) والمتوفى سنة (٢٤١هـ).

(٢) - محمد بن إسماعيل البخاري المولود سنة (١٩٤هـ) والمتوفى سنة (٢٥٦هـ).

(٣) - مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المولود سنة (٢٠٤هـ) والمتوفى سنة (٢٦١هـ).

(٤) - سليمان بن الأشعث السجستاني، المولود سنة (٢٠٢هـ) والمتوفى سنة (٢٥٧هـ).

(٥) - محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المولود سنة (٢٠٩هـ) والمتوفى سنة (٢٧٩هـ).

(٦) - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخراساني المولود سنة (٢١٥هـ) والمتوفى سنة (٣٠٣هـ).

(٧) - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المعروف بابن ماجة المولود سنة (٢٠٧هـ) والمتوفى سنة (٢٧٢هـ).

- المرحلة الرابعة: مرحلة الترتيب والتهديب وتبتدى هذه المرحلة من منتصف المئة الرابعة بعد الهجرة، وتمتد إلى يومنا هذا.

غير أن كل جيل كان يرتب وينسق حسب ذوقه، وما يستلهم من حاجته فيما يعنون وييوب، ويجمع ويفرق.



علم مصطلح الحديث

١ - **تعريفه:** هو علم بقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من صحة وحسن وضعف، وعلو ونزول، وكيفية التحمل والأداء، وصفات الرجال وغير ذلك.

٢ - أقسامه: ينقسم علم مصطلح الحديث إلى قسمين:

الأول: علم مصطلح الحديث رواية: وهو علم يشتمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وروايتها وضبطها، وتحرير ألفاظها.

الثاني: علم مصطلح الحديث دراية: وهو علم يعرف به حقيقة الرواية وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم، وأصناف المرويات، وما يتعلق بها.

٣ - سبب نشوئه:

لقد نشأ في العالم الإسلامي فتن وانقسامات ووجدت مذاهب متطرفة، وأفكار هدامة وظهرت فئات اندست في صفوف المسلمين، والإسلام منها بريء، وراحت تكيد للإسلام عن طريق الدس والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن أعيتها الحيل في الكيد للإسلام الذي كانت له الغلبة والقهر بالحجة والدليل.

لهذه الأسباب كثرت الخطب في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدرك علماء الصدر الأول من المسلمين خطر هذا الدس اللثيم، ففكروا في حماية السنة، ووضعوا قواعد وقوانين لهذه الغاية عرفت بعلم الحديث أو علم مصطلح الحديث. ولقد مرّ هذا العلم بأدوار متعددة.

٤ - أدوار علم مصطلح الحديث:

الدور الأول: دور التفكير والتمهيد:

وكان ذلك حينما طلب عمر بن عبد العزيز من علماء المسلمين أن يدونوا الحديث بعد تحريره، وضبطه، وقد استجاب له العلماء، وكتبوا بعض أبحاث لكنها كانت مثورة بين ما جمعه من تلك الأحاديث، ولذلك لم تأخذ اسم علم مدون ولم تستقل بكتاب مؤلف، ونلمح مثل هذه البحوث والقواعد في كتاب «الأم» و«الرسالة» للإمام الشافعي، وفي «مقدمة صحيح الإمام مسلم»، وفي «جامع الترمذي».

الدور الثاني: دور التحضير:

ففي هذا الدور شرع العلماء يؤلفون في موضوعات متفرقة من هذا العلم ويسمون كل موضوع اسماً خاصاً، ويفردونه بالتأليف: مثل «الجرح والتعديل»، ورجال الحديث، وعلل الحديث، وتلفيق الحديث وغير ذلك.

الدور الثالث: دور الوجود والظهور:

وكان ذلك باختصار تلك العلوم المتكاثرة المستقلة، والكلام عليها مجموعة تحت موضوع علم واحد ولغاية واحدة سمي «علوم الحديث» أو «مصطلح الحديث»، وكان أول من ألف في هذا العلم القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي المتوفى سنة (٣٦٠هـ) فقد ألف كتاباً أسماه: «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي». لكنه لم يستوعب رؤوس المسائل، ولم يستوف الكلام عليها وهذا أمر طبيعي، لأن أوائل التصانيف لا تستوعب بالتدوين إلا ما يراه أصحابها مهماً.

الدور الرابع: دور النمو والمزيد:

ثم جاء الحاكم النيسابوري المتوفى سنة (٤٠٥هـ) فتوسع في هذا العلم عن الرامهرمزي، وألف كتابه: «معركة علوم الحديث» ولقد اشتمل هذا الكتاب على نيف وخمسين نوعاً بيد أنه قد فاتته إحكام الترتيب، وإتمام التهذيب. ثم جاء أبو نعيم الأصفهاني المتوفى سنة (٤٣٠هـ) فاستدرك على الحاكم ما فاتته في كتاب أسماه: «المستخرج على كتاب الحاكم» زاد فيه أشياء، وعقب عليه بأشياء، ثم رتبته وهذبه.

ثم جاء بعد ذلك الخطيب أبو بكر أحمد البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ) فتكلم في علوم الحديث بطريقة مفصلة، فألف في قوانين الرواية كتاباً أسماه: «الكفاية في قوانين الرواية» وألف كتاباً آخر في آداب الرواية أسماه: «الجامع لآداب الشيخ والسماع» وألف أيضاً كتاباً أخرى في نواح من هذا الفن، ولقد أصبحت مؤلفاته هذه مرجعاً لمن جاء بعده.

الدور الخامس: دور التهذيب والتقريب: وكان ذلك بالكتابة في هذا العلم على نمط يجمع بين التهذيب والتقريب، وإن اختلفت الأساليب باختصار والقصد، وبالنظم والشر. فمن ذلك كتاب ألفه القاضي عياض المتوفى سنة (٥٤٤هـ) أسماه: «الإلماع في أصول الرواية والسماع» ومن ذلك كتاب ألفه أبو جعفر عمر بن عبد المجيد الميالجي أسماه: «ملا يسع المحدث جهله».

ومن ذلك ما ألفه زعيم هذه المرحلة الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المشهور بابن الصلاح المتوفى سنة (٦٤٣هـ) فلقد ألف كتاباً أسماه «علوم الحديث» واشتهر بعد ذلك باسم: «مقدمة ابن الصلاح» فصار كتابه هذا من بعده عمدة الكاتبيين، وقبله الناظرين والباحثين، وموضوع العناية من الناظرين والناشرين.

فممن تحدث عنه شعراً الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة (٨٠٦هـ) فقد نظم ألفيته لخص فيها علوم ابن الصلاح، وزاد عليها وقد أتمها سنة (٧٦٨هـ) وشرحها سنة (٧٧١هـ).

ثم جاء من بعده محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة: (٩٠٢هـ) فشرحها في ثلاثة مجلدات وأحسن شرحها، وشرحها السيوطي في مجلدة، ثم شرحها شيخ الإسلام زكريا الأنصاري المتوفى سنة: (٩٢٦هـ) في كتاب سماه «فتح الباقي في ألفية العراقي».

ثم انبرى الجلال السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) لمعارضة «ألفية العراقي» بألفية ادعى أنها فاقت ألفية العراقي، فقال في مطلعها من بحر الرجز:

وهذه ألفية تحكي الدرر منظومة ضمنتها علم الأثر
فأقصة ألفية العراقي في الجمع والإيجاز واتساق^(١)

ومن اختصر هذا العلم الشيخ النووي المتوفى سنة: (٦٧٦هـ) في كتاب أسماه «الإرشاد» ثم
اختصر كتابه: «إرشاد طلاب الحقائق» في كتاب أسماه: «التقريب»^(٢).

ومن حرر هذا العلم ونقحه ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ) في كتابه: «نخبة
الفكر» وشرحه «نزهة النظر» وهو كتاب صغير الحجم جم العلم.

ومن الجميل في هذا المقام أن بعض العلماء سلك في صياغة قواعد هذا العلم مسلك الغزل.

فقد نظم الحافظ شهاب الدين أحمد بن فرج الأندلسي سنة (٦٩٩هـ) قصيدة غرامية تسمى
منظومة «غرامي صحيح» عدد فيها أنواع الحديث قال فيها:

غرامي صحيح والرجاء فيك معضل وحزني ودمعي مرسل ومسلسل
وصبري عنكم يشهد العقل أنه ضعيف ومترك وذلي أجمل
ولا حسن إلا استماع حديثكم مشافهة يملئ عليّ فأنقل^(٣)

الدور السادس: دور التهذيب والتقريب:

ثم فترت الهمم بعد ذلك وكأن الناس قد اكتفوا بما خلف أسلافهم من هذه الذخائر الثمينة
اللهم إلا كتباً مختصرة ورسائل مقتضبة.

الدور السابع: دور الانتعاش:

-
- (١) وشرحها بكتاب سماه «البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر» ولييان فضالها حققها وعلق عليها العلامة محمد أحمد شاکر.
(٢) وشرح هذا الكتاب الحافظ السيوطي في سفر ضخمة سماه «تدريب الراوي على تقريب النووي» وهو من أجل الكتب في هذا الفن.
(٣) ولها شروح منها: شرح لعلامة الشام ومحدثها بدر الدين الحسن بن يوسف المتوفى سنة: (١٣٥٤هـ)، وهو متداول.

ثم بدأت تنتعش علوم الحديث من جديد في هذا العصر، فظهرت مؤلفات لها مكانتها العلمية من بينها كتاب: «قواعد التحديث» للشيخ جمال الدين القاسمي المتوفى سنة (١٣٢١هـ) وكتاب: «توجيه النظر» للعلامة الشيخ طاهر الجزائري المتوفى بعد ذلك التاريخ بقليل أي في عام: (١٣٣٨هـ). وكتاب «مفتاح السنة» للشيخ محمد عبد العزيز الخولي.

وكتب أخرى كثيرة ونفيسة. ومن الكتب الحديثة في هذا الموضوع: «منهج النقد في علوم الحديث» لصديقنا الدكتور نور الدين عتر، وكتاب: «أصول الحديث علومه ومصطلحه» للدكتور محمد عجاج الخطيب، وكتاب: «قواعد في علوم الحديث» للشيخ ظفر أحمد العثماني التهانوي.

٥- غاية علم المصطلح:

وقد شُيّد بنيان هذا العلم لغاية عظيمة وهي حفظ الحديث النبوي من الخلط فيه أو الدس والافتراء عليه، فكان من ذلك أن تم حفظ هذا الدين، وامتاز الحديث الصحيح من السقيم، ولولا ذلك لالتبس الأمر، ولاختلط كلام الرسول ﷺ بكلام غيره من الناس. ولقد ترتب على هذه الغاية العظيمة فوائد لها مكانتها العظيمة:

أحدهما: حفظ الدين الإسلامي من التحريف والتبديل، إذ إن أحاديث رسول الله ﷺ هي مبينة وشارحة لكتاب الله عز وجل، فحينما تصل إلينا الأحاديث بطريق صحيح، يتضح لنا معاني كتاب الله ومقاصده على وجه صحيح.

ثانيهما: الوقاية من التساهل: الذي وقع الوعيد العظيم على من يتصف فيه، قال رسول الله ﷺ: «من حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه.

ثالثها: تنقية الأذهان من الخرافات، وذلك لأن الإسرائيليين وغيرهم قد حاولوا نشر ما لديهم من الخرافات الباطلة والأقاصيص الكاذبة، التي ابتدعوها من عند أنفسهم، ليضلوا الناس عن جادة